

خاتمة الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم
بإحسان إلى يوم الدين

أما بعد: هذه هي الخاتمة: وهي تشتمل على موضوعين: الأول منهما:
آداب العالم والمعلم والمتعلم والقاضي والمفتي، والثاني في بيان الطريق التي
سلكتها في تأليف هذا الكتاب المبارك:

فنقول وبالله التوفيق. وأول ما يلزم العالم والمتعلم والقاضي والمفتي أن
يعلم كل واحد منهم واجبه الديني، ومسؤوليته الشرعية، لأن القيام بالواجب
والمسؤولية لا يتحقق إلا بمعرفتهما، ومن أهم واجبه ومسؤوليته: واجبه نحو
خالقه، وهو القيام بتوحيده والدعوة إليه، والبعد عن الشرك وأسبابه، وتنقية
إيمانه اعتقاداً وقولاً وعملاً بامثال أوامر ربه، واجتناب نواهيه، والقيام بطاعته
سراً وعلانية، وأن يتقيه بقدر استطاعته، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ
إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات، الآية: ٥٦] وقال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا
بِهِ شَيْئًا﴾ [سورة النساء، الآية: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [سورة التغابن، الآية: ١٦].

وقال النبي ﷺ: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن

شيء فدعوه»، وأن يخلص العمل لله في جميع أقواله وأفعاله. قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [سورة البينة، الآية: ٥]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٦٢﴾ * لَا شَرِيكَ لَّهِ ﴿[سورة الأنعام، الآية: ١٦٢ - ١٦٣].

وبالقيام بما ذكرناه يكون قد أخذ حظه وافراً من تركة نبيه ﷺ، لأنه قد أخبر أن العلماء ورثة الأنبياء، وخاصة علماء هذه الأمة التي لا نبي بعد نبينا، وأن الله قد خصهم بكرامة من بين الأمم، حيث أنزل إليهم أعظم كتبه، وأرسل إليهم أشرف رسله، وشرع لهم أكمل شرائعه، وشرفهم وأعلى منزلتهم بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّكُمْ إِنَّا اللَّهُ عَقِيبٌ لِّزُومٍ﴾ ﴿١٤٣﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٤٣] وقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١١٠].

ثم ليعلم أن ما ذكرناه من توحيد الله في عبادته، والبعد عن الشرك به في جميع أنواعه، والدعوة إلى ذلك، وطاعة الله وتقواه لا يتم ذلك إلا بتطبيق شرع الله في كتابه، واستحكام سنة نبيه ﷺ المبينة للقرآن، ورفض ما خالفهما كائناً ما كان، لأنه لا طريقة إلى عبادة الله إلا باتباع نبيه الذي أرسله ليبين للناس ما نزل إليهم، قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٦٥﴾ [سورة النساء، الآية: ٦٥] وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ ﴿[سورة النساء، الآية: ٨٠]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَخُصِمِهِ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿١١٥﴾ [سورة النساء، الآية: ١١٥]. وقال النبي ﷺ: «والله لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به».

ثم لتعلم أن الواجب على كل مسلم ومسلمة وخاصة العالم منهم والمتعلم أن لا يحقر شيئاً من اتباع هدي نبيه ﷺ والتخلق بأخلاقه والتأدب بأدابه، كما أرشدهم الله إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٢١].

قال ﷺ: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» يعني في أمته، لأن الله قد تولى تكميل أخلاقه بنفسه، وبقوله تعالى في حقه: ﴿وَإِنَّكَ لَمَلَكٌ خُلِقَ عَظِيمٌ﴾ [سورة القلم، الآية: ٤]، وبقوله عن نفسه ﷺ: «فقد أذنبني الله فأحسن تأديبي»، وقد سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ فأجابت: كان خلقه القرآن، قلت: وما ذكرناه عام في جميع المتعلمين، من المسلمين وغير المتعلمين، وأما ما يخص القاضي والمفتي: فمن ذلك أن يكون من أهل التقوى، والمراقبة لله فيما يقوله وما يحكم به، لأنه بتقوى الله يستنير قلبه، ويفتح عليه من العلوم ما لا يعلمه، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبُہٗ﴾ [سورة التباين، الآية: ١١] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَّہٗ مِّنْ أَمْرٍ يُسْرًا﴾ [سورة الطلاق، الآية: ٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِیْنَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِیْہُمْ رَبُّہُمْ بِإِیمَنِہُمْ﴾ [سورة یونس، الآية: ٩]. وقال تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَیَعْلَمْکُمُ اللَّهُ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٨٢].

وأن يكون خائفاً أشد الخوف من الزلل في قوله وحكمه، بعيداً عن هوى نفسه وهوى غيره، قال الله تعالى: ﴿يَذَّأُوذُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِیْفَةً فِی الْأَرْضِ فَاحْکُم بَیْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فِیضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة ص، الآية: ٢٦].

وأن يقوم بالعدل والعدالة بين الناس، لا يفرق بين القريب والبعيد، والرئيس والمرؤوس عليه، والغني والفقير، والقوي والضعيف، والصغير والكبير، والذكر والأنثى، والحر والرقیق، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُكِّمْتُمْ بَیْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا یُعْطِیْکُمْ بِهِ﴾ [سورة النساء، الآية: ٥٨]. وقال تعالى: ﴿یَجْزِیْکُمْ شَتَاؤُنَّ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا﴾ [سورة

المائدة، الآية: ٨]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِمَهْدِ اللَّهِ
 أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِحَبْلِ لِّمَلِكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٥٢] وقال تعالى:
 فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا
 مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [سورة المائدة، الآية: ٤٨].

وأن يكون زاهداً عما في أيدي الناس من زهرة الدنيا وحطامها، بعيداً عن
 قبول الرشوة وأسبابها، وأن يكون رزقه من الحلال الذي لا شبهة فيه، لأن من
 وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام، ولأن العدالة فيمن تطمع فيه من شبه
 المستحيل، وأن يكون صدوقاً أميناً مرضياً متواضعاً محبوباً عند الخاصة
 والعامة، لأن بذلك يقبلونه حكماً ويرضون حكمه، وأن يكون عنده علم
 بمايتسلح به من نصوص الكتاب والسنة والإجماع، وعالماً بقياس ما لم يرد به
 نص على ما تواترت به النصوص، كما قال النبي ﷺ لمعاذ حين أرسله إلى
 اليمن: «بم تحكم فيهم؟» قال: بكتاب الله. قال: «فإن لم تجد في كتاب الله؟»
 قال: بستة رسول الله، قال: «فإن لم تجد في ستة رسول الله؟» قال: اجتهد
 رأيي وأقيس الأمور على نظائرها. قال النبي ﷺ: «الحمد لله الذي وفق رسول
 رسول الله على ما يحب الله ورسوله»، أو كما قال ﷺ.

وأن تكون له مهابة المكتسبة من تواضعه وطاعته، لأن من تواضع لله
 رفعه، لا من تجبره وتعاضمه على خلق الله تبارك وتعالى، وقد تقدم ذكر الخلاف
 بين العلماء في اشتراط الاجتهاد في القاضي، ومما اشترطه العلماء في القاضي:
 أن يكون بالغاً عاقلاً ذكراً حراً مسلماً سميعاً بصيراً متكلماً.

واختلفوا في اشتراط كونه كاتباً، والراجح أنه لا يشترط لأن النبي ﷺ
 كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وهو القاضي الحقيقي الذي يتفرع من قضائه جميع
 القضاة، ومن العلماء من كره له مزاحمة العوام في البيع والشراء بنفسه، ومن
 كره ذلك مالك والشافعي وأحمد، وقالوا: إن دعت الضرورة إلى ذلك يوكل من
 يقوم بذلك غيره، وأجازه له أبو حنيفة من غير كراهة.

بيان طريقتي في تأليف الكتاب

وأما طريقتي في تأليف هذا الكتاب فهي كما يلي :

أولاً: تهذيب ما يتيسر لي من أقوال الأئمة الأربعة الذين أجمعت الأمة المحمدية التي لا تجتمع على ضلالة على إمامتهم وتقديمهم والافتداء بهم، وأفرد قول كل واحد منهم إذا حصل خلاف في المسألة بينهم، وأما إذا لم يحصل خلاف فأذكر أنهم اتفقوا على ذلك الموضع، ثم اذكر من قال بقول كل واحد منهم من العلماء، وإن كانوا من الصحابة والتابعين فالغالب أنني أقدم ذكرهم على ذكر الأئمة بترتيب منزلتهم وتقديمها على منزلة الأئمة، وبعد ذلك أذكر سبب الخلاف إن كان في المسألة خلاف، وإن كانت مما أجمعوا عليه أذكر ذلك، وإن كانت مما اتفق عليها الأئمة وخالف فيها غيرهم أذكر اتفاقهم، ثم أذكر من خالف فيها من العلماء وغيرهم.

وأحياناً أقدم مع كل قول دليل صاحبه، وأحياناً أؤخر ذكر الأدلة حتى أنتهي من ذكر الأقوال، ثم أرتب الأدلة على ترتيب الأقوال. وبعد ذلك أناقش الأقوال وأدلتها، وأرجح ما ترجح عندي بالدليل، سواء كان الدليل نصاً أو إجماعاً أو قول صحابي أو اجتهداً أو قياساً، ثم أذكر وجهة ترجيحي لما رجحته من غير تعصب ولا ميل إلى قول خاص من أقوال أئمتنا رحمهم الله، لأنهم عندي على درجة واحدة في تقديرهم ومحبتهم والاعتراف بفضلهم، ونسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من الذين قالوا: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة الحشر، الآية: ١٠].

وكما أسأله أن يجعل هذا الكتاب لنا ولمن ساعدنا على طبعه ونشره من الأعمال الخالصة لوجهه الكريم المستمر أجرها في حياتنا وبعد مماتنا ما دام موجوداً ينتفع به، وأن ينفع به جميع المسلمين خاصتهم وعامتهم، وأن يجعل له القبول والمحبة والرغبة في مذاكرته في قلوب المشايخ والعلماء وطلبة العلم، كما أشكره على توفيقه وهدايته ومعونته على إكماله على الوجه الذي يرضيه إن شاء الله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

obeikandi.com

بيان المراجع

وأما بيان المراجع التي استعنت بها في تأليف هذا الكتاب فهي:

من كتب التفسير .

- ١ - تفسير ابن جرير الطبري .
- ٢ - تفسير القرطبي .
- ٣ - تفسير ابن كثير .
- ٤ - تفسير فتح القدير للشوكاني .
- ٥ - تفسير أضواء البيان لمحمد الأمين الشنقيطي .
- ٦ - أحكام القرآن لابن العربي .

ومن كتب الحديث :

- ١ - صحيح البخاري مع شرح ابن حجر العسقلاني فتح الباري .
- ٢ - صحيح مسلم على شرح الإمام محيي الدين النووي .
- ٣ - موطأ مالك على شرح الزرقاني .
- ٤ - سنن أبي داود .
- ٥ - بلوغ المرام على شرح سبل السلام للصنعاني .
- ٧ - عمدة الأحكام عليه شرح ابن دقيق العيد .

- ٨ - شرح السنة للبغوي .
- ٩ - نيل الأوطار للشوكاني .

ومن كتب الفقه للمالكية :

فأهم المراجع التي سلكت طريقها في هذا الكتاب ورتبت أبواب الكتاب ومسائله على ترتيبه :

- ١ - بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد .
- ٢ - المدونة الكبرى للإمام سحنون .
- ٣ - كتاب الإستذكار لابن عبد البر .
- ٤ - الكافي لأبي عمر بن عبد البر .
- ٥ - الرسالة لأبي زيد القيرواني .
- ٦ - جواهر الإكليل على مختصر خليل .
- ٧ - مصباح السالك على شرح أسهل المسالك .

ومن كتب الشافعية :

- ١ - رحمة الأمة لمحمد بن عبد الرحيم الدمشقي .
- ٢ - المذهب للشيرازي .
- ٣ - المجموعة للإمام النووي .
- ٤ - فقه السنة للسيد سابق .

ومن كتب الحنفية :

- ١ - شرح فتح القدير على متن القدوري .
- ٢ - متن القدوري نفسه .

ومن كتب الحنابلة :

- ١ - المغني لابن قدامة .

- ٢ - زاد المستقنع .
- ٣ - الروض المربع شرح زاد المستقنع .
- ٤ - السلسيل حاشية زاد المستقنع .
- ٥ - كتاب الأسئلة والأجوبة لعبد العزيز السلمي .
- ٦ - الإفصاح لابن هبيرة .
- ٧ - العمدة وعليها شرح العدة .
- ٨ - الفتاوى لابن تيمية .

وهذه المراجع التي ذكرناها في الغالب أننا ما نقلنا عنها نصاً، وإنما نقرأ
الموضع فيها وننقله بعبارتنا التي أردنا السير عليها، وإذا نقلنا عن واحد منها نصاً
ذكرناه والله الموفق للصواب .